الأعور الدجال
حقيقة
أم خيال؟

د. نافذ الشاعر

اسم الكتاب: الأعور الدجال حقيقة أم خيال

اسم المؤلف: د. نافذ الشاعر

الطبعة الأولى: نوفمبر ٢٠٠٦

الطبعة الثانية: نوفمبر ٢٠٢١

جميع الحقوق محفوظة

الأعور الدجال
حقيقة أم خيال

د. نافـــذ الـشـاعـــر

المحتويات

تمهيد ٧

الباب الأول ١١

الغموض في أحاديث الدجال..... ١٢

الباب الثاني ١٧

الدجال والحضارة الغربية ١٨

الدجال وفواتح سورة الكهف ١٩

الدجال وسورة الكهف ٢٣

سبب تسميته المسيح الدجال ٢٧

الباب الثالث ٢٩

أوصاف الدجال ٣٠

الباب الرابع ٣٦

معجزات وخوارق الدجال ٣٧

سرعة الانتقال ٣٧

طول أذنيها ثلاثون أو أربعون ذراعاً ٣٨

معه الجنة والنار ٣٩

يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت..... ٣٩

ينشر الرجل نصفين ثم يعيده ٤٠

معه جبال من خبز ولحم ٤٣

إخراج الكنوز ٤٣

يأمر النهر فيسيل ثم يأمره أن ييبس فييبس ٤٠

الباب الخامس ٤٥

هل الدجال موجود منذ القدم ٤٥

ابن صياد والدجال ٤٧

موقف النبي صلى الله عليه وسلم من ابن صياد ٤٥

موقف أبي سعيد الخدري من ابن صياد..... ٥٣

الباب السادس ٥٦

تميم الداري والجساسة والمسيح الدجال ٥٧

الباب السابع ٦٣

علامات خروج الدجال ٦٤

الدخان ٦٤
خروج الدابة ٦٥
طلوع الشمس من مغربها ٦٩
خروج النار ٧٠
الباب السابع ٧٨
يأجوج ومأجوج ٧٩

تمهيد

جرت العادة بين عموم المسلمين أن إمارات الساعة لابد أن تجيء كما تجئ أحداث قصة مأساوية، أو تمثيلية تراجيدية، عرفت أحداثها من قبل مجيئها، فهي شيء لا يمكن أن يتغير أو يتبدل إنما يسير على خط مرسوم إلى أجل محتوم!.

والسبب في هذا الوهم: كثرة الأحاديث الواردة في باب الفتن وأشراط الساعة، في مصنفات علماء الحديث، وما من نبي كشف لأمته أشراط الساعة وفصل فيها الرأي تفصيلا كما كشفه محمد صلى الله عليه وسلم. ولا نرتكب شططاً لو قلنا إن هذه الأحاديث، على كثرتها، أدت إلى تشعب الآراء، وحدت بضيقي الأفق أن ينزلوها منزلة القرآن في القطعية والثبوت، وأن يؤسسوا عليها أحكاماً قد تخالف القرآن في كثير من الأحيان؛ بل وحدت بطائفة من المسلمين أن ينكروا هذه الأحاديث ويردوها جملة وتفصيلاً، وأن يعتبروها من وضع الوضاعين الذين قصوها إما جهلاً وإما قصداً لإفساد عقيدة المسلمين!

والحق الذي لا مرية فيه إنه من ضلال الرأي وغبن العقل أن نرفض هذه الأحاديث أو نردها جملة وتفصيلاً؛ لأنها بلغت من التواتر واختلاف الطرق في الرواية والإسناد، بحيث لا تجعل للوضع إليها من سبيل.

أما الفريق الآخر، الآخذ بحرفية الأحاديث، فإنهم قد اعتبروا علامات الساعة وإماراتها لم تأت بعد، وقد قسموا العلامات إلى صغرى و كبرى، وأن الصغرى مضت كلها أو كادت، وأن الكبرى لم يمض منها شيء، أو مضى منها النذر اليسير، وما زالوا إلى يوم الناس هذا ينتظرون الساعة بإمارات وعلامات كالمنصوص عليها في كتب الحديث، بحيث لا يختلف فيها اثنان ولا يتناطح فيها كبشان، وهذا منافي للعقل، وسنة الكون، ودروس التاريخ!

لابد لنا من العلم أن أحداث الساعة أخفى من أن يعرفها كل الناس؛ لأن الساعة عندما تجيء سوف تكون خافية على كل الناس إلا على فئة قليلة ممن نوّر الله بصيرتهم، يهمهم أمرها وهم مشفقون منها، وربما لا تكاد تحصيهم على أصابع اليد الواحدة، يقول تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) (طه:١٥) وقوله

(لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَـةً)(لأعراف:١٨٧). وقولـه (وَلِلَّهِ غَيْـبُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (النحل:٧٧). وقوله تعالى: (بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَـةً فَتَبْهَـتُهُمْ فَـلا يَسْـتَطِيعُونَ رَدَّهَـا وَلا هُـمْ يُنْظَـرُونَ) (الأنبيـاء:٤٠). وقولـه: (هَـلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) (الزخرف:٦٦).

لقد أصـبحت هـذه الأمـور أو الأحـداث المنتظـرة متداولـة بـين الناس، يرّوج لها بعض المؤلفين من باب الرعـب والتخويـف، أو مـن باب التسلية والترويح.. لكن الأمر ليس بهـذه البسـاطة واليسر، لأن الساعة خافية على جميع الناس بمن فيهم الرسل كـما صرحـت بـذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم. كـما إن هناك بعض الأمور التي لا ينبغـي الأخـذ بحرفيتهـا، وإنـما تحتـاج إلى إعمال فكر وروية حتى تستبين حقيقتها وينجلي أمرها، وهذا ما جاء به الحديث النبوي في شأن المسيح الدجال؛ كما قال النبي صـلى الله عليـه وسلم: (إنما أحدثكم هذا؛ لتعقلـوه؛ وتفهمـوه؛ وتفقهـوه، وتعـوه..

فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم وليحدث به الآخرُ الآخرَ فإنه أشد الفتن)[1]

والحقيقة أننا كلما أمعنا التفكير في الروايات الواردة في شأن الأعور الدجال، وجدنا إبهاماً في البحث يتزايد، وخفاء في المسألة يشتد، ثم لا تزال حيرة الفكر تنقلنا من لبس إلى لبس، وتردنا من بحث إلى بحث، وإنا لنقترب من المشكلة ونحن نقدم رجلاً ونؤخر أخرى، وما لم يكن عون من الله تعالى فلا أمل في الوصول إلى وجه الصواب.

ولا يهولنك البحث في أمر المسيح الدجال، ولا تحسبن ذلك البحث ذا خطر في الدين قد يخشى شره على إيمان باحث، فالأمر أهون من أن يُخرج مؤمناً من حظيرة الإيمان، بل وأهون من أن يزحزح محسناً عن حظيرة الإحسان، فليس بدعاً في الدين، ولا شذوذا عن مذاهب المسلمين أن يذهب باحث ويبحث في هذا الموضوع، وليس بدعاً ولا شذوذاً أن يخالف في ذلك مخالف، فذلك بحث خارج عن

[1] كنز العمال ج687/14 و جامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي

دائرة العقائد الدينية التي تعارف العلماء على بحثها، وهو أدخل في باب البحث العلمي منه في باب الدين.

الباب الأول

الغموض في أحاديث الدجال

إن الإلمام بشان المسيح الدجال لا يخلو من غموض وإبهام يصعب معهما البحث، ولا يكاد يتيسر ـ معهما الوصول إلى رأي ناضج يقره العلم، وتطيب به النفس. وترجع هذه الصعوبة إلى عدة أمور يمكن إجمالها فيما يلي:

١- أكثر الأحاديث قد رويت بالمعنى، كما هو معلوم واتفق عليه العلماء، ويدل على ذلك الاختلاف بين رواة الصحاح في ألفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها.

٢- ما دخل على بعض الأحاديث من المدرجات (وهو تفسير من الراوي يُدمج في متن الحديث). فكان كل راوي ينقل ما فهمه واعتقده، بألفاظه هو، وربما وقع في فهمه الخطأ لأن هذه أمور غيبية، وربما فسر بعض ما فهمه بألفاظ أضافها من عنده لاعتقاده بصحتها.

٣- الأخذ بحرفية الأحاديث؛ وخصوصاً الأحاديث المتعلقة بالنبوءات المستقبلية، وانتظار وقوعها بحذافيرها بحيث لا تشذ عن

ذلك قيد أنملة، في حين أن هذه النبوءات المستقبلية لم تكن تقع للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التفصيل، إنما كانت تقع بوجه إجمالي تحتاج إلى كثير من الفقه والتأمل والتأويل، لفك رموزها ومعرفة أسرارها. وهذه الأنباء المستقبلية تشبه الأحلام التي تحتاج إلى تعبير. وليس هذا بدعا في القول أو ضلالاً في الرأي، خصوصاً إذا علمنا أن القران الكريم منه آيات محكمات وأخر متشابهات، وكذلك الأحاديث النبوية منها المحكمات المتعلقة بالعبادات والمعاملات، ومنها المتشابهات المتعلقة بالنبوءات.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكْثر من قوله لأصحابه: "من رأى منكم رؤيا؟" حتى يفسرها له، أو يتطوع أحد من الصحابة لتفسيرها كأبي بكر رضي الله عنه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقص عليهم أحياناً ما رآه، ومن ذلك قوله: (رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بمهيعة فتأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة)[2]

[2] (البخاري رقم 6632)

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى أن الدجال عبارة عن رؤيا، والرؤيا دائما لا تأتي مطابقة للواقع بحذافيره؛ إنما تكون مليئة بالرموز والإشارات تحتاج إلى تعبير وتأويل.

يروي البخاري ومسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين وهو بينهما يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح بن مريم ورأيت وراءه رجلا جعدا قططا أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا؟! قالوا: هذا المسيح الدجال)[3].

وعلى هذا فإن حديث تميم الداري والجساسة عبارة عن رؤيا وافقت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وليس هو حقيقة واقعة، كما سيأتي الكلام عن ذلك بعد قليل.

[3] البخاري ومسلم

وعلى ضوء هذه الأسباب الثلاثة يمكننا أن نفهم الأحاديث الواردة في الفتن وخصوصاً الأحاديث الواردة في شأن المسيح الدجال الذي سيظهر آخر الزمان..

أما أن نتصور الدجال رجلاً يقف على مسمع من الناس طالباً التحدي والمنازلة، فهو تصور لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أصبحت الدنيا حارة صغيرة يسكنها جماعة من البدو الرحل، وعادت البشرية إلى عهد الطفولة الأولى، عندما كانت تتقاتل بالرماح والسيوف وتأوي إلى الجبال والكهوف.

إذن، استناداً إلى ذلك نستطيع القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم حقيقة الساعة على وجه التحديد والتقريب، إنما كان علمها لديه بمثابة علم إجمالي لا يعلم حقيقته وتفصيله إلا الله رب العالمين. وهناك من نصوص الكتاب والسنة التي تؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أحيانا يلتبس عليه بعض الأمور التي لا وحي فيها، وإن هذه الأمور كانت من قبيل الاجتهاد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم، كما هو معلوم من هذه النصوص الصريحة، لم يكن معصوماً من تصديق بعض ما يفتريه المنافقون، أو يقصه بعض الناس

بحسن نيـة أو سـوء طويـة، يقـول النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: (لا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به؛ فـإني لـن أكذب على الله)[٤].

يقول الأستاذ رشيد رضا وقد كشف للنبي صلى الله عليـه وسـلم، بالعلم الإجمـالي ولـيس التفصـيلي ظهـور دجـال آخـر الزمـان يظهـر الخوارق والعجائب للناس التي يفتتن بها خلق كثير، وانه مـن اليهـود وإن المسلمين يقاتلونه.. وقد كشف لـه ذلـك كلـه كشـفا مجمـلاً غـير مفصل لا وحي به من الله عز وجل"[٥]

نص الحديث (مرر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظن يغني ذلك شيئا قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به) (صحيح مسلم)

[5] (تفسير المنار ج9|421)

الباب الثاني

الدجال والحضارة الغربية

لقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تصف الدجال وتخبر عن بعض أفعاله وبعض الفتن التي يجئ بها. ومجمل الأخبار الواردة في شأن الدجال تشير إلى أنها إشارة إلى فتنة الحضارة والمدنية التي ستكون في آخر الزمان، وخصوصاً الحضارة الغربية التي جاوزت المعقول، وحطمت الحدود والقيود حتى لا يكاد يتصورها عقل، ولا تخطر على قلب بشر عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه النبوءات.. وهذا السر في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بقراءة فواتح سورة الكهف للعصمة من فتنة الدجال.

الدجال وفواتح سورة الكهف

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)[6]. وفي حديث آخر: (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)[7]

فما سر في سورة الكهف؟

يقول تعالى: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا (١) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً (٤)مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

[6] رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى عن أبى الدرداء
[7] رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان

آيَاتِنَا عَجَباً (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً) (الكهف ١-١٠)

ليس المقصود من قراءة هذه الآيات مجرد القراءة، إنما المقصود بها تدبر الآيات والكلمات، وفهم المقصد والغايات، وإذا جئنا نتدبر فواتح هذه السورة وجدناها تتحدث عن فتنة اليهود والنصارى في آخر الزمان، بل وفي كل زمن من الأزمان، فهم الذين قالوا اتخذ الله ولدا (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ) (التوبة:٣٠) لذلك فإن اليهود والنصارى هم دجال آخر الزمان، وفي مقابل اليهود والنصارى تتحدث فواتح السورة عن القدوة التي يجب أن يتخذها من يريد النجاة من فتنة هذا الطوفان الحضاري الجارف، وهذه القدوة هم الشباب الذين قاوموا هذه الفتنة وعاشوا حياة الطهارة والنقاء بالرغم من أنهم ربما يكونون من نفس قوم الدجال..

وفي هذه الآيات إشارة أيضا إلى الشباب المسلمين الذين يعيشون وسط هذه الحضارة وفي خضم هذا الطوفان، ومع ذلك هم يضربون حول أنفسهم سياجاً من عزلة النفس لا عزلة المكان، ويهاجرون بالأرواح ولا يهاجرون بالأبدان، وكأنهم آووا إلى كهف بعيد لا يرون

فيه أحداً: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً).

وفواتح السورة تشير إلى الاقتداء بالمؤمنين الذين يرفضون أن يحنو رؤوسهم لهذه الحضارة الجوفاء، أو يتزلفوا لها بأي نوع من الزلفى.

فهذه الصورة التي رسمتها فواتح سورة الكهف هي عينها فتنة المسيح الدجال، وسمي المسيح لأن أصحاب هذه الحضارة يزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام، وهم دجالون لا يمتون إلى المسيح بأي صلة، لأنهم مسيح دجل وضلال وليسوا مسيح هدى ورشاد.

وهم أيضا دجالون لأنهم يبتكرون من الأساليب الخداعة والحيل المضللة التي يتوصلون من خلالها للتغرير بأكبر العقول ثقافة وأوسعها علماً، وخذ مثلا على ذلك مجلس الأمن الدولي الذي هو عبارة مسرحية من ابتكار المسيح الدجال، وهو وسيلة هذه الحضارة لسلب الحقوق وفرض السطوة على المستضعفين، ومع ذلك لا يجرؤ أحد بالتصريح أو التلميح، وتجد هذه العقول المثقفة منغمسة في دهاليزه ضائعة في متاهاته لا يخرجون منها أبداً، وفي سبيل هذه الغاية يتسلح هذا المجلس بالعلم والثقافة والقانون والنظام.. حتى جعل كل

أعضاءه منغمسين في دور هزلي، كممثل أتقن دوره المنوط به في مسرحية كبرى.

لذلك فإن الآيات العشر من أوائل السورة ترمز إلى عين الدجال العوراء، في حين ترمز الآيات العشر- من أواخر السورة إلى العين الأخرى؛ لأن فواتح وخواتيم سورة الكهف تصف سلاح الدجال.

فالآيات الأولى تتحدث عن الدجل الذي يمارس باسم المسيح عليه السلام، حيث يزعمون أنه ابن الله، ويزعمون أنهم يؤمنون بالكتاب المقدس، في حين أنهم حرفوا فيه وبدلوا، ليوافق أهواءهم الفاسدة. أما خواتيم السورة فتشير إلى الثورة المادية الصناعية التي تكون بين يدي الدجال، حيث يمتلك اتباعه من كل شيء سبباً، لكنهم حبطت أعمالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بهذه الابتكارات التي يقدمونها للبشرية في حين أنها ترسخ الزيغ والضلال والانحراف..

إذن، من خلال ما تقدم نخلص إلى أن بدايات سورة الكهف وخواتيمها تصف سلاح الدجال، وهو سلاح ديني، وسلاح مادي.

الدجال وسورة الكهف

« وردت في سورة الكهف أربع قصص؛ القصة الأولى: قصة شباب، آمنوا بالله تبارك وتعالى ودعوا إليه، رغم أن المدينة التي عاشوا فيها كان يسيطر عليها ملك ظالم. فبدأوا بالدعوة إلى الله فكُذِّبوا واضطهدوا، فأوحى الله إليهم أن يأووا إلى الكهف، وأيدهم بمعجزات عظيمة.

والقصة الثانية: قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر، عندما سأله قومه: من أعلم أهل الأرض؟ فأجابهم بأنه أعلم أهل الأرض، فأوحى الله إليه بأنه يوجد من هو أعلم منه، فقطع موسى مسافة بعيدة حتى أدركه التعب الشديد، فالتقى بالرجل الصالح، الذي يملك علماً لا يملكه موسى عليه السلام.

وتخلل الرحلة ثلاثة مواقف، كانت في ظاهرها شراً؛ الأول: خرق السفينة بسبب وجود ملك ظالم يسلب كل سفينة صالحة. والثاني: قتل الغلام لئلا يرهق أبويه المؤمنين بعصيانه وعقوقه. والثالث بناء الجدار لغلامين يتيمين، حتى يحفظ كنزاً كان مدفوناً تحته.

وآخر قصة في سورة الكهف هي قصة ذي القرنين، الملك العادل، الذي ينشر الحق والعدل في الأرض، ويملك كل الأسباب المادية- من علم وتكنولوجيا- التي تسهل له التمكين والنجاح في الحياة؛ فكان يطوف بالأرض شرقها وغربها لينشر الهداية للناس، ويملأ الأرض عدلاً وإحساناً، إلى أن وصل إلى قوم لا يكادون يفقهون قولاً، فقالوا: (يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟).

وبالرغم من امتلاكه للأسباب إلا أنه طلب منهم أن يعينوه حتى يعلمهم الإيجابية!

والخيط الرئيسي الذي يربط القصص الأربع ببعضها، هو الفتن التي يفتتن بها الناس في حياتهم الدنيا وهي:

- فتنة الدين: التي تمثلت في أصحاب الكهف.

- فتنة المال: التي تمثلت في قصة صاحب الجنتين الذي أغراه ماله فأدى به إلى إنكار الآخرة.

- فتنة العلم: عندما يعجب المرء بعلمه، ويظن أن أحداً لم يسبقه في العلم، أو يتعلم علماً لا فائدة منه، أو يستخدم علمه فيما يضر بالمجتمع.

- فتنة الحضارة والقوة: عندما يؤتى المرء حضارة وتقنية عظيمة، فتؤدي به إلى الاعتداد بقوته، والكفر بربه، وظلم الناس.. لكن قصة ذي القرنين ترينا العكس من ذلك تماماً: سلطان عادل، يعدل مع الناس، وينسب الفضل في قوته إلى الله وحده.

أما محرك خيوط هذه الفتن الأربعة فهو عدو الله إبليس، الذي جاءت إليه الإشارة في منتصف السورة: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه).

فما علاقة فتنة المسيح الدجال بالفتن الأربع المذكورة: فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة السلطة؟

إن فتنة المسيح الدجال هي أعظم فتنة في تاريخ البشرية من لدن آدم إلى قيام الساعة، يقول عليه الصلاة والسلام: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال"[٨].

والمسيح الدجال سيظهر قبل يوم القيامة بالفتن الأربع: فهو يفتن الناس في دينهم، ويطلب منهم عبادته من دون الله.. وهو يفتن الناس بالمال حيث يستخرج كنوز الأرض. وهو يفتن الناس بالعلم، حيث يبهر الناس بالمخترعات والصناعات. وهو يفتن الناس بالسلطة والسطوة، فيقهرهم بقوته وسيطرته.

ومن الملاحظات اللطيفة في السورة، أن قصصها الأربع اشتملت على جميع مستويات الدعوة إلى الله:

- فتية يدعون الملك. (أصحاب الكهف).
- رجل يدعو صاحبه (صاحب الجنتين).
- معلم يدعو تلميذه (الخضر وموسى عليهما السلام).
- قائد يدعو رعيته (ذو القرنين)[٩]

[8] رواه الحاكم

سبب تسميته المسيح الدجال

ذكرت في بحثي المعنون بـ (عـودة المسـيح) بـأن عـودة المسـيح في العصر الحديث تعني شيوع المعجزات الذي كان تجري على يد المسـيح في العصر القديم؛ فيأتي الإنسان بأمثال المعجزات التي جاء بها المسيح؛ ومن ثم تنتشر روح جديدة خلاقة في كل العالم.

لقد صرح العالم الإنجليزي "لورينس براك" أنه بعد عام بعد سـنة ١٨٤٤م ظهرت- وبصورة فجائية- قوة خلاقة إلى الوجود فـأظهرت أموراً خفية، وظهرت روح جديـدة مـن الاختراعـات والاكتشـافات تفوق كل ما توصل إليه الإنسان عبر كل العصور.

ففي القرن التاسع عشر انبعثت روح جديدة في الآداب والموسيقى والفنون والثقافة والطب والمخترعات. وحـدث تقـدم هائـل في علـم البكتريا والطب والموسيقى.. وظهرت مجموعة كبيرة مـن العبـاقرة في الأدب أمثـال تولسـتوي، ديكنـز، دوستوفيسـكي.. واغتنـت حيـاة البشرية بزيادة الاختراعات والمكتشـفات، بشـكل مفـاجئ منـذ سـنة ١٨٤٤م حتى هذا اليوم، فشـملت: الطـيران، والطـائرات، والسـفن،

---

[9] خواطر قرآنية: عمرو خالد (218-229).

والغواصات، والقاطرات، والرحلات الفاخرة، والتكييف، والراديو، والتليفزيون، والإلكترونيات، والمضادات الحيوية، والأدوية العجيبة، والصواريخ الحربية، والصواريخ الفضائية، وعلم الذرة العجيب..

وما زال شلال العجائب مستمراً لا ينتهي. فلقد انقلبت كل مفاهيم الحياة، في الصحف، والمجلات، والكتب، والراديو، والتليفزيون، والتلفون، والتلغراف، والمدارس، والجامعات، والثقافة، والسفر..

وبالطبع هذا كله ليس هو المسيح الحقيقي إنما هذا هو المسيح الدجال! لأن المسيح الحقيقي كانت لديه هذه الأمور وسيلة وليست غاية، وكان الأصل في دعوته هداية الناس إلى طريق الله عز وجل، وليس الهدف من هذه الخوارق التي كانت تجري على يديه الفساد في الأرض كما فعلت الحضارة الغربية، التي تتخذ هذه الاختراعات لنشر الفساد والزندقة والإلحاد..

وفي الجهة المقابلة فإن هذه المخترعات الحديثة سوف تكون سبباً في انتشار الإسلام في الدول الغربية، وسوف يستخدمها المؤمنون لقتل المسيح الدجال ونشر الإيمان.

الباب الثالث

أوصاف الدجال

إن أوصاف الدجال تبدو متناقضة لا يمكنها أن تجتمع في شخص واحد، وهذا صحيح؛ لأن الأحاديث لا تصف رجلاً واحداً، إنما تسرد علينا أوصاف عدة أشخاص أفكارها متجانسة وغاياتها متآلفة، وهم الأشخاص الذين تركوا بصمات واضحة في نمو هذه الحضارة المادية وازدهارها.

إن دجال آخر الزمان يرمز إلى أفكار وأعمال مبعثها شخص أو مجموعة متجانسة من الأشخاص، وهي فكرة الانفجار المعرفي، والبحث العلمي في الزمن الأخير، ومن نتائج هذه الثورة العلمية الجامحة سيكون دمار البشر وفناء الكون. وهو يرمز إلى العلماء الذين يقضون حياتهم بين جدران المكتبات في اختراع الذرة وغيرها من الأسلحة المدمرة، والأدوية المخدرة التي تفعل الأعاجيب، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى صفة الدجال بقوله:

١-(**أَجْلَى الْجَبْهَة**)[10] يعني منحسر الشعر أصلع الجبهة، وهذا من أوصاف العلماء الذين يقومون بالاكتشافات والمخترعات التي تنقل البشرية نقلة عجيبة لا يتصورها عقل.

٢- **(قطط الشعر)**[11]: والقَطِطُ الشدِيدُ الجُعُودةِ (لسان العرب ٣٠٨|٧)

٣-**(جفال الشعر)**[12]: أي كثير الشعر وقد سبق أنه منحسر الشعر، وهذا ليس تناقض لأن الأوصاف كما أسلفنا ليست لرجل واحد.

٤- **(لا يولد له ولد)**[13]: أي يغلب على أكثر هؤلاء العلماء الذين وضعوا البصمات القاتلة في البشرية، إما العقم، وإما الزهد في الزواج والنساء.

٥- (ممسوح العين اليسرى وأعور العين كان عينه عنبة طافية (طافئة): والعور هنا على معاني منها:

---

[10] الجامع الكبير للسيوطي 9569/1
[11] الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (محمد بن فتوح الحميدي) 392/2
[12] صحيح مسلم 161/14
[13] صحيح مسلم 18/16

الأول: كلالة **البصر**ـ وضعف النظر بسبب الانهماك في القراءة والبحث ومتابعة التجارب في المعمل والمختبر. وجاء في حديث آخر (أعور العين ذو حدقة جاحظة لا تخفى كأنها كوكب دري)[14]

ويشير تعبير الكوكب الدري في القرآن إلى الزجاج: (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) (النور:٣٥) فيكون المعنى على عينه زجاجة يبصر، بها الأشياء وهذه إشارة إلى النظارات الطبية أو إلى الميكروسكوب، وجاء في حديث آخر:(إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء)[15].

الثاني: العور هو: العيب في الشيء، والأعور من كل شيء المعيب، والعور خرق أو شق يكون في الثوب أو الشيء، ومنه قوله تعالى: (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) (الأحزاب:١٣) أي غير حريزة[16]. وعلى هذا تكون حضارة الدجال حضارة عوراء أي ناقصة، وهي غير حريزة من تسرب الانهيار والفساد إليها؛ لأنها مالت إلى جانب واحد هو جانب المادة وأغفلت جانب الروح، والحضارة التي تقوم على جانب واحد دون الآخر لا خير فيها ولا يُكتب لها الدوام والبقاء.

---

[14] فتح الباري13|98)
[15] فتح الباري 139/20
[16] (مقاييس اللغة لابن فارس ج4| 185)

الثالث: العـور والأعـور هـو الـذي لا يمكنـه الرؤيـا الصـحيحة السليمة، لأن بعض المخدوعين بهذه الحضارة ينتظرون منها الإنصاف لقضاياهم وحلول مشاكلهم، وهـذا لـن يكـون أبـداً؛ لأنهـا حضـارة عوراء، لا يمكنها النظـر بموضـوعية مجـردة عـن الهـوى، حتـى ولـو أرادت ذلك؛ لأن العيب أصل فيها وليس طارئ عليها.

وعند تأمل حديث: **(أعور العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)**[17] نجد في الحديث إشارة إلى أن هذه الحضارة لن تخدع المؤمنين؛ لأن سـمتها البـارزة وصـفتها الغالبـة هـي الإلحـاد والماديـة، بحيـث للوهلـة الأولى يـدركها المـؤمن فينفـر منهـا قلبـه وتسـتوحش منهـا نفسـه، ولا يمكنـه أن يتصـالح معهـا بحـال مـن الأحوال، ويتساوى في هذا المؤمن المثقـف وغـير مثقـف. وعـلى هـذا يكون معنى "القراءة" في قوله (يقـرؤه..): يعنـي (يدركـه ويفهمـه)، وكثيراً ما نسمع في الأحاديث السياسية والمحـاورات الصـحفية شـيئاً قريباً من هذا عند سؤال أحد الصحفيين لشخص عن رأيـه في حـدث ما بقوله: "كيف تقرأ هذه الأحداث؟" أي كيف ترى هذه الأحداث؟

[17] (البخاري)

واختلف شراح الحديث في معنى الكتابة في هذا الحديث، جاء في شرح النووي: (وذكر القاضي فيه خلافاً: منهم من قال: هي كتابة حقيقية. ومنهم من قال: هي مجاز وإشارة إِلَى سِمَات الْحُدُوث عليه، واحتجَّ بقوله: " يَقْرَأهُ كُلّ مُؤْمِن كَاتِب وَغَيْر كَاتِب)[18]

لكن الملاحظ في الأحاديث التي ذكرت (قراءة المؤمن لكلمة كافر على جبهة المسيح الدجال) أن جميع هذه الأحاديث عبرت عن القراءة بـ"يقرؤه" وليس "يقرأها"؛ لأن الضمير هنا يعود إلى حضارة الدجال ولا يعود إلى كلمة كافر، وعلى منوال ذلك جاء حديث: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله)[19] . فالملاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم عبر عن الدجال بصيغة المؤنث ليدل أنه دولة وليس شخص.

[18] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 324/9
[19] (صحيح الإمام مسلم)

وأيضاً حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (يظهر المسلمون على جزيرة العرب، ويظهر المسلمون على فارس، ويظهر المسلمون على الروم، ويظهر المسلمون على الأعور الدجال!)[20]

فنرى في هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال ضمن الدول وليس ضمن الأشخاص. وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تزالون تقاتلون المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال بالأردن على النهر أنتم شرقيه وهم غربيه)[21]. فنجد أن التعبير عن الدجال جاء بضمير الجمع (هم) وليس (هو) ليشير إلى أن الدجال دول وليس شخصاً.

٦- **(على عينه جلدة)**[22] وهي النظارة الطبية، أو الميكروسكوب الذي لا يفارق عيون العلماء، ودائما يراقبون التجارب من خلاله.

٧-**(أعور هجان** أشبه الناس بعبد العزى بن قطن رجل من خزاعة): وهجان معناه أبيض أزهر)[23]، وهي أوصاف الأوربيين. وفي حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أشبه من رأيت به

---

[20] أورد الحاكم في المستدرك
[21] (الآحاد والمثاني4|409)
[22] فتح الباري 139/20
[23] (فتح الباري13|108)

أكتم بن أبي الجون) إذن من خلال هذه الأوصاف يتبين أن الدجال ليس رجلاً أسطورياً خيالياً، إنما هو رجل عادي كباقي الناس.

الباب الرابع

١- سرعة الانتقال:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(يَخْرُج مَسِيح الضَّلَالَة فَيَبْلُـغ مَـا شَاءَ اللهَّ أَنْ يَبْلُغ مِنْ الْأَرْض فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً، فَيَلْقَى الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُ شِـدَّة شَدِيدَة)**[٢٤] وهذا الحديث لا يشير إلى فترة مكثه في الأرض، إنما يشير إلى سرعته في التنقل والسفر والطيران حيث يجوب الأرض كلها، شرقها وغربها في أربعين يوماً أو أقل.. وهذا ما فعلته الحضارة الحديثة التي استحدثت من وسائل الموصلات ما يمكنها من ذلك، وهذا يوضحه حيث آخر: (تُطْوَى لَهُ الْأَرْض فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً)[٢٥]

أما عن أوصاف الدابة التي يتنقل عليها الدجال فقد وردت روايات متفرقة تصف هذه الدابة وهي: (حمار أقمر لا شعر له، طول

[24] فتح الباري 142/20
[25] (فتح الباري 13|107).

كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً)[26] (ما بين أذنيه أربعون ذراعاً)[27] (يضع خطوه عند منتهى طرفه)[28] (يخوض البحر لا يبلغ حقويه)[29]

وهذه الأوصاف مجموعة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

(تحته حمار أقمر، طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا، ما بين حافر حماره إلى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة، تطوى له الأرض منهلا، يتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبيه، أمامه جبل دخان، وخلفه جبل أخضر، ينادي بصوت له يسمع به ما بين الخافقين : (إليَّ أوليائي إليَّ أوليائي إليَّ أحبائي إلي أحبائي فأنا الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى وأنا ربكم الأعلى). كذب عدو الله! ليس ربكم كذلك ألا إن الدجال أكثر أشياعه وأتباعه اليهود وأولاد الزنا..)[30]

---

[26] (كنز العمال)
[27] (البخاري)
[28] (الإشاعة لأشراط الساعة)
[29] (كنز العمال)
[30] كنز العمال 694/14

ولو دققنا النظر في هذه الأحاديث لوجدناها تشير إلى الصورة التي ستكون عليها وسائل الموصلات الحديثة التي ابتكرتها أمة الدجال في آخر الزمان، فهذه المواصلات الحديثة أو "الدواب الصناعية" لا تتوالد ولا تتناسل وهذا ما أشار إليه الوصف :(أبتر) يعني لا تتناسل. و(أقمر أبيض)، يعني لها لمعان وبريق.

- (طول أذنيها ثلاثون أو أربعون ذراعاً):

(إشارة إلى جناحي الطائرة التي هي بنفس هذا الطول). وقوله (يسبق الشمسَ إلى مغيبها) يعني تصل في ثواني إلى أقصى ما يبلغه نظر الإنسان إذا نظر إلى الأفق.

- أما السفن العملاقة التي تمخر عباب الأمواج ولا يمكن لهذه الأمواج أن تبلغ طولها مهما كانت الأمواج مرتفعة فجاءت الإشارة إليها بقوله صلى الله عليه وسلم: (يخوض البحر إلى كعبيه)... (يستظل تحت أذنيه سبعون ألفاً من اليهود)، وهذا إشارة إلى بداية هجرة اليهود إلى فلسطين بهذه الوسائل الحديثة حيث كان عددهم عند بداية هجرتهم ما يقرب من نفس هذا العدد تقريباً.

٢- معه الجنة والنار:

جاء في حديث أبي هريرة: (أنه يجيء معه مثل الجنة والنار)[٣١] والجنة كناية عن النعمة، والنار كناية عن المحنة والنقمة، فمن أطاعه أنعم عليه بجنته فيؤول مصيره إلى دخول نار الآخرة.

٣- يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت:

جاء في صحيح الإمام مسلم: (يأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر)[٣٢] وهذا هو المشاهد من أمة الدجال اليوم حيث يضربون الحصار على كل من لا يسير في ركابهم ويرفض هيمنتهم فتصبح هذه الدول الرافضة للهيمنة في شدة وضنك.. أما من يسير في ركابهم فيغدقون عليهم الأموال وييسرون له الأحوال.

---

[31] (فتح الباري 13|107)

[32] الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم 393/3

كما يشير الحديث أيضا إلى تقدم أمة الدجال في ميادين الزراعة حيث ينقلون المياه عبر الأنابيب التي ترش الماء من علو من الرشاشات المرتفعة الدوارة، وكأنها تنزل من السماء. ويطلق لفظ "السَّمَاء" كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء. والسماء المطر، والسَّمُوُّ الارتفاع والعلو، ومنه سَمَوْتُ وسَمَيْتُ.."[٣٣]

هذه الطريقة في السقي تتم حسب أمر المزارع ومشيئته وهو الذي يتحكم فيها ويأمرها من خلال تكنولوجيا الري الحديثة.

٤- ينشر الرجل نصفين ثم يعيده:

جاء في صحيح الإمام مسلم: (فيدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك)[٣٤] وهذا إشارة إلى تقدم أمة الدجال في علوم الطب تقدماً مذهلاً لا يكاد يتصوره عقل؛ حيث نشاهد عمليات القلب المفتوح التي ينتزع الأطباء فيها قلب المريض ويقومون باستبداله أو إصلاح أعطابه ثم يعيدوه إلى

[33] (مختار الصحاح 326)
[34] صحيح مسلم (باب ذكر صفة الدجال)

حيث كان. كما تتم في هذه الجراحة نشر جماجم المرضى نصفين، ثم يعيدوها مرة أخرى، بعد أن يزيلوا ما أصابها من العطب؛ وهذا ما يحدو بالمريض أن يتهلل وجهه فرحاً، وان تمتلئ نفسه حبوراً وبشراً.

أما قوله للرجل بعد أن يحييه: (هل تؤمن بي؟ فيقول: ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد أن يقتله فلا يسلط عليه؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ذلك الرجل أقرب أمتي مني وأرفعهم درجة)

وهذا معناه أنه قد يحدث أحياناً أن يمرض عالم من علماء المسلمين، فلا يجدون له العلاج في بلاده فتجرى له عمليات العلاج في الغرب، وربما يكون القصد من وراء العلاج التزلف والإغواء، وربما تسول لهم أنفسهم أن هذا العلاج لهذا المرض المميت سيجعل العالِم المؤمن يتصالح مع حضارتهم المادية وينبهر بها ويدعو إليها، ولكن الجواب يأتي بلسان الحال أو المقال: "والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم!" فلا يتغير عن مبادئه ولا يتزحزح عن مواقفه.

٥- معه جبال من خبز ولحم:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَعَهُ جِبَال مِنْ خُبْز وَلَحْم وَنَهَر مِنْ مَاء)[٣٥] وهذا ما نشاهده من معونات ومساعدات الدول الغربية اليوم في البعثات التبشيرية التي ترسل الشاحنات والقاطرات المليئة بأكياس الدقيق ومعلبات اللحوم التي لو وضعت فوق بعضها لكانت أعظم من الجبال.

٦- إخراج الكنوز:

جاء في صحيح مسلم: (ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل)[٣٦] وفي هذا إشارة إلى استخراج البترول والذهب والمعادن من باطن الصحراء بالوسائل الحديثة، ثم تشحن هذه الكنوز إلى الدول الغربية..

---

[35] فتح الباري 123/20

[36] صحيح مسلم

٧- يأمر النهر فيسيل ثم يأمره أن ييبس فييبس):

وفي هذا إشارة إلى التقدم المذهل لأمة الدجال في بناء السدود التي يستطيع المهندس بضغطة زر أن يحجز مياه النهر أو يجريها؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فَيَأْتِي النَّهَر فَيَأْمُرهُ أَنْ يَسِيل إِلَيْهِ فَيَسِيل، ثُمَّ يَأْمُرهُ أَنْ يَرْجِع فَيَرْجِع ، ثُمَّ يَأْمُرهُ أَنْ يَيْبَس فَيَيْبَس، وَيَأْمُر جَبَل طُور وَجَبَل زِيتَا أَنْ يَنْتَطِحَا فَيَنْتَطِحَا، وَيَأْمُر الرِّيح أَنْ تُثِير سَحَابًا مِنْ الْبَحْر فَتُمْطِر الْأَرْض، وَيَخُوض الْبَحْر فِي يَوْم ثَلَاث خَوْضَات فَلَا يَبْلُغ حِقْوَيْهِ، وَإِحْدَى يَدَيْهِ أَطْوَل مِنْ الْأُخْرَى، فَيَمُدّ الطَّوِيلَة فِي الْبَحْر فَتَبْلُغ قَعْره فَيُخْرِج مِنْ الْحِيتَان مَا يُرِيد)[٣٧]

قوله صلى الله عليه وسلم: (فَيَمُدّ يده فِي الْبَحْر فَتَبْلُغ قَعْره فَيُخْرِج مِنْ الْحِيتَان مَا يُرِيد) فيه إشارة إلى الآلات الحديثة التي تغوص في البحر فتصيد الحيتان من قاع البحار والمحيطات بكل سهولة ويسر.

[37] فتح الباري 132/20

الباب الخامس

هل الدجال موجود منذ القدم؟

قال بعض العلماء إن الدجال موجود منذ القدم قبل مجيء الإسلام وسيخرج قبيل الساعة، كما جاءت الأحاديث بذلك استناداً إلى حديث تميم الداري وغيره. وقال البعض أنه وجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، استناداً إلى حديث النبي صلى الله عليه أن اليوم قد ولد لليهود طفل تكون أوصافه كأوصاف المسيح الدجال.

لكن الحقيقة إن أقوال العلماء في هذا الأمر مضطربة ولا ترقى إلى مرتبة اليقين، لكننا يمكننا القول إن الدجال لم يكن موجوداً من القدم بحقيقته التي سيكون عليها آخر الزمان، وإنما موجوداً على نحو ما، وأعني أن وجود الدجال كان عبارة عن فكرة قبل أن يكون شخص، وهي فكرة شيطانية تحارب الخير الموجود في كل عصر، وإن هذه الفكرة الشيطانية مبعثها بعض الأشخاص كابن صياد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ابن صياد بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم. كما ويمكننا القول أن ابن صياد هو البذرة الأولى لدجال آخر الزمان، وعندما مات ابن صياد فإن روحه الشيطانية لم تمت. لهذا

عندما قال عمر بـن الخطـاب للنبـي صـلى الله عليـه وسـلم: "دعنـي أقتله"، رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم: لن تسلط عليه!

ولو جئنا إلى تحليل حياة ابن صياد وأقواله وأفعاله، سـيتبن لنـا أن الدجال سيكون على شاكلة هذا الشخص.

ابن صياد والدجال

أولا: موقف النبي صلى الله عليه وسلم من ابن صياد:

لقد احتار النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأعور الدجال والتبس عليه الأمر كثيراً حتى ظنه (ابن صياد). يروي الإمام مسلم في صحيحة (أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط قبل بن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان، وقد قارب بن صياد يومئذ الحلم، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد: أتشهد أنى رسول الله؟! فنظر إليه بن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال بن صياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال آمنت بالله وبرسله.. ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا ترى؟ قال بن صياد: يأتيني صادق وكاذب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الأمر ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قد خبأت لك خبيئا! فقال بن صياد: هو الدخ، فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم: اخسأ فلن تعدو قدرك! فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله أضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله..

وانطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها زمزمة، فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتقى بجذوع النخل فقالت لابن صياد: يا صاف، (وهو اسم بن صياد)، هذا محمد! فثار ابن صياد؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو تركته بين).

عند تدبرنا هذه الرواية يتبين لنا عدة أمور منها:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في بعض الأمور ويقدِّر ويأخذ بالقرآن كما روي النووي وابن الجوزي، كتجويزه أن يكون ابن صياد اليهودي المعاصر له هو الدجال المنتظر، وكذلك

تجويزه أن يظهر في زمنه وحي، لأنه يسأل ابن صياد عن الذي يأتيه هل هو وحي من الله أم من الشيطان"[٣٨]

وفي هذا إشارة إلى عدم أخذ أحاديث الساعة على حرفيتها ومنها أحاديث الدجال، وفيه إشارة أيضاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن هذه الأمور لديه من الأمور التفصيلية الموحى بها إليه على وجه التفصيل.. وإن هذه الأحاديث كانت تقع للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه الإجمال لا التفصيل؛ لأنها من الغيب الذي استأثره الله عنده، فلا يُطلع عليه أحداً إلا من شاء.

٢-قول ابن صياد (أشهد بأنك رسول الأميين) هو نفس القول الذي تقوله الحضارة الغربية بأن محمداً، صلى الله عليه وسلم، مبعوث للعرب فقط وليس للعالمين!

٣-قول النبي صلى الله عليه وسلم (إني قد خبأت لك خبيئا ! فقال بن صياد: هو الدخ، أي الدخان) (فأراد أن يقول الدخان فلم يستطع فقال الدخ)[٣٩]. هذه إشارة إلى أن الحضارة الغربية ستجيء بالفتنة الكبرى التي يغلب عليها الاحتراق، مثل التدخين، ودخان المصانع

---

[38] (تفسير المنار:ج9|422).
[39] بيان مشكل الآثار للطحاوي: 78/7

الضخمة، ودخان الآلات العملاقة والقاطرات الجبارة الذي ظهرت بعد اكتشاف القوة الدافعة البخارية في القرن الثامن عشر، وأيضا الدخان الناتج عن الحروب والانفجارات، وعند ذلك سيكون مجيء هذا الدخان بمثابة عذاب وإهلاك ونقمة على العباد والبلاد، كما قال تعالى: "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (الدخان:١١).

٤- أما ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابن صياد ومراقبته من حيث لا يعلم حتى يتأكد من حقيقته، ثم حيرة النبي صلى الله عليه وسلم في أمره، فهذه إشارة إلى حيرة المسلمين والمؤمنين في أمر الأعور الدجال من بعد النبي إلى قيام الساعة، وأنهم لن يصلوا فيه إلى قرار نهائي يريح النفس ويرضي العقل.

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم يختبره بأن يضمر في نفسه كلمة فلم يعرفها كاملة فيرد النبي صلى اله عليه وسلم: (اخسأ فلن تعدو قدرك) أي إنك لست الشخص المراد، وإنما أنت أقل منه بكثير وأن قدرك مقدر ومرسوم ولن تستطيع أن تتخطاه إلى قدر أكبر منه، وأن الدجال صاحب الفتنة المشهورة لم يأت بعد.

٦- قوله (وجده يلعب مع الصبيان وقد قارب الحلم) ففيه إشارة إلى اعتناء حضارة الدجال بالأطفال، حيث نجد علم نفس الأطفال أخذ حيزاً واسعاً في تراث هذه الحضارة، وإن علماءهم وأولي الأحلام والنُّهى منهم لا يترفعون عن ملاعبة الأطفال ومخالطة الصبيان، والنزول إلى مستواهم في المدارس والحضانات ورياض الأطفال..

ثانياً: موقف أبي سعيد الخدري من ابن صياد

يروي الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال:

(خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صائد، قال: فنزلنا منزلا، فتفرق الناس وبقيت أنا وهو؛ فاستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه!.. قال وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي فقلت: إن الحر شديد.. فلو وضعته تحت تلك الشجرة، ففعل! قال: فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء بعس فقال: "اشرب أبا سعيد" فقلت: إن الحر شديد واللبن حار ما بي إلا أن أكره أن أشرب عن يده؛ فقال: أبا سعيد لقد هممت أن آخذ حبلا فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس يا أبا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خفي عليكم معشر الأنصار ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كافر وأنا مسلم؟ أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة؟ أو ليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟ قال أبو سعيد الخدري: حتى كدت أن أعذره.. ثم قال: أما والله

إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن! قال قلت له: تباً لك سائر اليوم)[40]

من خلال تحليل هذه الرواية يتبين لنا:

١-أن حضارة الدجال تستعمل المناورة والمداورة والإقناع العقلي ويتضح ذلك من قول ابن صياد: ".. أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كافر وأنا مسلم، أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة، أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة..)

٢- إن حضارة الدجال تملك من أفانين الخداع والحيل ما لا يمكن كشفه إلا بتوفيق من الله؛ وهذا يتبين من قول أبي سعيد (حتى كدت أن أعذره).

٣- إن الدجال سيكون صاحب لسان زلق وحجة دامغة يوهم الناس ويستطيع إقناعهم بالفكرة ونقيضها في اللحظة الواحدة حتى الأتقياء منهم، وهذا ما أشار إليه قوله (حتى كدت أن أعذره) وهذه

[40] صحيح مسلم: باب ذكر ابن صياد 149/14

العبارة تفيد بأن الدجال يتملق بمعسول القول وقد يدخل الشفقة في قلوب مستمعيه.

٤- قوله (خرجنا حجاجاً وعماراً ومعنا ابن صائد) فيه إشارة إلى أن الدجال سيكون له أتباع من المسلمين المخدوعين أو غير المخدوعين بحضارته، ومع ذلك هم يحجون ويعتمرون مع المسلمين، يوقعون خلالهم الفتن ويروجون لهذه الحضارة ونظرياتها، في حين أنهم ينتسبون للإسلام.

٥- أما قوله (أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده) ففيه إشارة إلى ديدن الغرب وأسلوبهم مع المسلمين حيث تجدهم يزعمون بأنهم يكشفون للمسلمين شبكات الإرهاب والدسائس.. وأنهم خبروا بلاد المسلمين فعرفوها حق المعرفة أكثر من معرفة أصحابها المسلمين، ولا يمنع أن يكون هذا الزعم فيه شيء من الحقيقة.

٦- قول أبي سعيد لابن صياد (فلو وضعته تحت هذه الشجرة، ففعل!.) فيه إشارة بأن أمة الدجال تتميز بالدبلوماسية وكتم الغضب.

الباب السادس

تميم الداري والجساسة والمسيح الدجال

يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال:

(أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم! قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال؛ حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا.. فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر؛ فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة قالوا وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق! قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب.. فقال

أخبروني عن نخل بيسان؟ قلنا عن أي شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر قلنا لـه نعـم! قـال: أمـا إنـه يوشـك أن لا تثمـر قـال أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هـل فيهـا ماء قالوا: هي كثيرة الماء قال: أما إن ماءهـا يوشـك أن يـذهب! قـال: أخبروني عن عين زغر! قالوا: عن أي شـأنها تسـتخبر؟ قـال: هـل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا له نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.. قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قـالوا: قـد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب؟ قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.. قـال: قـد كان ذلك؟! قلنـا: نعـم! قـال: أمـا إن ذاك خـير لهـم أن يطيعـوه وإني مخبركم عنى؛ إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتهـا في أربعـين ليلـة غـير مكـة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحـدا منهما استقبلني ملك بيده السيف صـلتا يصـدني عنهـا، وإن عـلى كـل نقب منها ملائكة يحرسونها.. قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: ألا

هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه..)[41]

من تدبرنا لهذا الحديث يتبن لنا:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم (وحدثني حديثاً وافق) يدل على أن هذه كانت رؤيا منامية، وليست واقعة حقيقية؛ لأن كلمة حديث تستخدم في التعبير عن الرؤيا كما يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) (يوسف:٦).

٢- إن تميم الداري رجل نصراني متأثر بما جاء في كتابه المقدس عن المسيح الدجال؛ جاء في رؤيا يوحنا: (ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى رَمْلِ الْبَحْرِ، فَرَأَيْتُ وَحْشًا طَالِعًا مِنَ الْبَحْرِ لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى قُرُونِهِ عَشَرَةُ تِيجَانٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ اسْمُ تَجْدِيفٍ، وَالْوَحْشُ الَّذِي رَأَيْتُهُ كَانَ شِبْهَ نَمِرٍ، وَقَوَائِمُهُ كَقَوَائِمِ دُبٍّ، وَفَمُهُ كَفَمِ أَسَدٍ. ففتح فمه بالتجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه و على الساكنين في السماء، وأعطي أن يصنع حرباً مع القديسين و يغلبهم، وأعطي سلطاناً على كل قبيلة ولسان و أمة. من له إذن فليسمع؛ ثم رأيت

[41] صحيح مسلم: قصة الجساسة 178/14

وحشاً آخر طالعاً من الأرض، ويصنع آيات عظيمة حتى انه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدام الناس، يضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أعطي)[٤٢]

٣- كيف يعقل أن المسيح الدجال ينصح الناس أن يطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما الذي يضطره إلى الاعتراف بأنه المسيح الدجال أمام (تميم الداري) وأصحابه؟

٤- قول تميم الداري: أنه قد ركب السفينة مع ثلاثين رجلاً.. ومع ذلك، لم يرد في كتب السيرة أن أحداً من هؤلاء الرجال قد ذكر شيئاً عن هذه القصة أو أشار إليها من قريب أو بعيد!

٥- لو حدثت هذه القصة، التي تشبه قصص ألف ليلة وليلة، مع ثلاثين رجلاً، ألم يكن من الطبيعي أن يأتوا كلهم مبهورين هم وأزواجهم وأولادهم وأقوامهم، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ليعلنوا إسلامهم أمام الرسول صلى الله عليه وسلم، وتبقى هذه القصة بعد ذلك حديث العرب على مر التاريخ؟ ومع هذا، لم تذكر كتب السنة أن واحداً منهم قد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما لم

[42] رؤيا يوجنا اللاهوتي: إصحاح 13

تذكر كتب السنة اسماً واحداً من أسماء هؤلاء الرجال الثلاثين، ولماذا لم يجئ غير تميم الداري؟

٦- الملاحظة على الحوار الذي دار بين تميم الداري وبين الدجال؛ أن الدجال يسأل تميم الداري عن أشياء يصعب معرفتها في ذلك الزمان على العربي، الذي لا يملك وسائل التنقل والترحال التي تمكنه من هذه المعرفة؛ ومع ذلك، فإن تميم الداري يجيب على كل الأسئلة بطلاقة كصحفي ضليع، أعد نفسه مسبقا لكل هذه الأسئلة!

٧- إذ كان تميم الداري قد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بمكان الدجال وهيئته وصفته.. فلماذا ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إلى ابن صياد ليتأكد هل هو المسيح الدجال أم لا؟.. ثم لماذا كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ومعظم المسلمين يعتقدون أن ابن صياد هو المسيح الدجال، وبل وكان عمر، رضي الله عنه، يقسم أمام الرسول صلى الله عليه وسلم أن ابن صياد هو المسيح

الـدجال، وكـان الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم لا ينهـاه عـن هـذا القسم!)[٤٣].

٨- هل يعقل أن يبقى ثلاثون رجلاً شهراً كاملا على ظهـر سـفينة بلا طعام ولا شراب؟. وهل الأعور الدجال رجلاً مضيافاً يقدم لهم ما يليق بهم من الطعام والشراب.. ثم يتركهم يذهبون بأمـان بكـل هـذه البساطة! ثم نلاحظ من خلال هذه المحادثة الودية التي دارت بين تميم الداري وبين المسيح الدجال أن الدجال رجـلاً ودوداً، لطيفـاً، طيـب المعشر، صادق الحديث..

[43] يروي البخاري أن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن بن صائد الدجال فقلت تحلف بالله فقال إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الباب السابع

علامات خروج الدجال

يقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويصة أحدكم)[44].

١-الدخان:

هو إشارة إلى الاحتراق الذي سوف يكون السمة البارزة لعصر الدجال، وقد بدأ عصر النهضة الأوربية منذ اكتشاف القوة الدافعة البخارية في القرن الثامن عشر، وهذا السر في قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد: (إني قد خبأت لك خبيئا، قال: الدخ يعني الدخان) لأن الدخان بكافة أشكاله ومظاهره هو سر قوة الدجال التي تتمثل مظاهره في دخان المصانع الضخمة، ودخان الآلات العملاقة،

[44] صحيح الإمام مسلم: باب في بقية أحاديث الدجال 184/14

والقـاطرات الجبـارة، ودخـان القنابـل الذريـة والنوويـة والعنقوديـة والكيماوية والغازات السامة..

لا شك أن الدخان يعتبر علامة كبرى من علامات الدجال حيـث نرى الابتكارات التي تتسم بسمة الدخان وخصوصاً اخـتراع القنابـل الذرية والنووية التي في قدرتها أن تحصد في دقائق أرواح الملايـين مـن البشر، وفي قـدرتها أن تفجـر البحـار والمحيطـات بـل وتخفيهـا مـن الوجـود! ولا نظـير لهـذه القنابـل الرهيبـة إلا الأوصـاف الـواردة في وصف زلزلة الساعة التي قال الله فيها: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُـمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَـعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُـكَارَى وَمَـا هُـمْ بِسُـكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ) (الحج:٢)

٣- خروج الدابة:

جاءت الإشارة إلى الدابة بقوله تعـالى: (وَإِذَا وَقَـعَ الْقَـوْلُ عَلَـيْهِمْ أَخْرَجْنَـا لَهُـمْ دَابَّـةً مِـنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُـمْ أَنَّ النَّـاسَ كَـانُوا بِآيَاتِنَـا لا يُوقِنُونَ) (النمل:٨٢)

قراءة ابن عباس وغيره " تَكْلُمُهُمْ يعني تجرحهم[45]، يقال: كلمه يَكْلمه كلما: جرحه، ورجل مكلوم أي جريح[46] ، ومنه قول الشاعر:

تقولُ والدمعُ جار والقلبُ منها كلِيم

مرَّ الغرابُ بشاةٍ قد غابَ عنها الفطيمُ

المقصود بالدابة: السيارات والقطارات والشاحنات... وهذا يتناسب مع تفسير ابن عباس رضي الله عنه، بأن معنى تكلمهم: تجرحهم.

وقد جاءت الأحاديث تصف هذه الدابة أنها: "ذات زغب لها أربع قوائم، طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب"[47]

[45] أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ج 15 /203

[46] محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية القاهرة، 2003 ، ج 373/33

[47] أبو القاسم الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3 /388

أقـول إن وصـف الدابـة يتناسـب مـع وسـائل النقـل الحديثـة كالسيارات والقطارات والطائرات.. والدابة كل ما يدب على الأرض من الأجسام المتحركة، وهي تطلق على الأنعام التي ينتفـع بهـا النـاس التي كانت ثروة الناس الأساسية في القـديم، وقـد سـميت سـورة في القرآن "سورة الأنعـام"، لأن الأنعـام عصـب الحيـاة القديمـة؛ فهـي للأكل، والشرب والمواصلات، والثروة، والزينة.. كما قال تعـالى: (اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُـوا مِنْهَـا وَمِنْهَـا تَـأْكُلُونَ) (غـافر:٧٩)، (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً) (الأنعام:١٤٢)، (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ)(الزخرف:١٢).

أمـا في العصـر الحـاضر فقـد تراجعـت قيمـة الأنعـام الأساسـية، وخصوصاً اسـتخدامها كمواصـلات، وحـلَّ مكانهـا وسـائل النقـل الحديثة كالسيارات والقطارات والشاحنات؛ كـما يقـول تعـالى: (وَإِذَا الْعِشَـارُ عُطِّلَـتْ) (التكـوير:٤) أي عطلهـا النـاس في اسـتخدامها كمواصلات. وأشار صلى الله عليه وسلم إلى ذلـك بقولـه: (وَلَتُـتْرَكَنَّ الْقِلاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا)[48] والقلاص: الإبـل؛ فقـد تُرِكـتْ ولم يعـد

[48] زكي الدين عبد العظيم المنذري: مختصر صحيح مسلم، مركز فجر الطباعة، القاهرة 2003، ص 999

يستخدمها أحد كمواصلات، وأصبحت الحياة لا تتصور بدون هذه الموصلات الحديثة.

لكن مع وجود المنافع الجمة لهذه الموصلات الحديثة إلا أنها القاتل الأكبر على مستوى العالم، حيث توقع من القتلى والجرحى أكثر مما توقعه الحروب؛ فلا يكاد يخلو يوم من حادث من الحوادث المهولة المروعة التي تزهق فيها الأنفس والأرواح؛ وهذا معنى قول ابن عباس: (تكلمهم يعني تجرحهم).

أما نسبة الدابة إلى الأرض في قوله تعالى (دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ)، فهو لأن وسائل الموصلات الحديثة خرجت من ابتكار الإنسان الذي يعيش في الأرض. أو لأنها مصنوعة من معادن الأرض كالحديد والمطاط والزجاج.. وهي بخلاف الأنعام التي وهبها الله للإنسان فقد قال عز وجل بأنها نزلت من السماء ولم تخرج من الأرض: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) (الزمر:٦).

ولا محل للاعتراض بأن الشطر الثاني الآية: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ. أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا

يُوقِنُونَ) يدل على أن الدابة تتكلم وتقول بلسانها: "أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون".

أقول هذا الاعتراض يرد عليه القراءة الأخرى المتواترة بكسر همزة (إن) وليس بفتحها[٤٩]. فأما الفتح فعلى تقدير الباء، أي : بأن الناس.. وأما الكسر فعلى الاستئناف، ثم هو يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى وهو الظاهر- وأن يكون من كلام الدابة ، فيعكر عليه " بِآيَاتِنَا "[٥٠]

وعلى هذا يكون قوله تعالى بكسر همزة (إن) (إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ) تأكيد على ضعف يقين الناس وعدم إيمانهم بما يجيئ في مستقبل الأيام.

٤- طلوع الشمس من مغربها:

طلوع الشمس من مغربها إشارة إلى السمة البارزة للعصر الحديث وهي اكتشاف الكهرباء؛ فبعد أن اكتشفت الكهرباء تواصل الليل

---

[49] محمد كريم راجح: القراءات العشر المتواترة، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط3، 1994، ص384

[50] أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي: اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ج 15 /203

بالنهار، والآن الليل في طريقه للاختفاء من الدنيا كما نقلت ذلك قناة البي بي سي[51] .

أما في القديم فقد كان الإنسان ينهض مع الفجر ويقضي يومه سعياً وراء الصيد والبحث عن الطعام الذي يمكن أسرته من البقاء، ليأوي إلى مضجعه عند مغرب الشمس حتى يذهب الليل. فقد كان الليل للهجوع والسكون، فإذا غابت الشمس أوى كل إنسان إلى مضجعه لا يبرحه؛ لأخذ قسط من الراحة لعمل النهار، أما منذ اكتشاف الكهرباء فأصبح النهار يبدأ من مغرب الشمس، فكأن الشمس تبدأ تشرق من مغيبها، وعلى هذا يكون معنى طلوع الشمس أي: طلوع النهار، حين مغيب الشمس أو من وقت مغيب الشمس، فالشمس هنا كناية عن النهار، لأن الشمس تقرن دوماً في الأذهان بطلوع النهار كما قال تعالى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس:١)، وهذا هو المشاهد من أحوال الكثرة الغالبة من البشر منذ اكتشاف الكهرباء؛ فقد تحول نهارهم إلى ليل، وليلهم إلى نهار فيقضون نهارهم نائمين، فإذا غابت الشمس دبت فيهم الحياة، وبدأوا مزاولة أعمالهم

[51] http://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-42090667

بهمة ونشاط، بل وأصبحت كافة أنشطة الدنيا اليوم تتم ليلاً، وأصبحت الكهرباء تنير الكرة الأرضية وكأنها في وضح النهار. بل إن الفضائيات ومحطات التلفزة تعتبر الليل هو وقتها الأثير لبث برامجها وما تحويه من المواد والبرامج والدعايات..

٥- خروج النار:

ورد حديث خروج النار في أكثر من كتاب من كتب السنة كلها تتفق على نفس المعنى، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يُحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا)[٥٢]

يكشف لنا هذا الحديث نبوءة عن الأماكن التي يجتمع فيها الناس، فهم يجتمعون في وسائط النقل التي تحمل اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو

[52] (البخاري ومسلم).

عشرة.. وهذا ما نراه اليوم من اجتماع الناس في وسائط النقل الحديثة كالسيارات والباصات والقطارات.

أما النار التي تحشرهم في فهي إشارة إلى الكهرباء التي تكون معهم في البيوت لا تفارقهم، إذا أصبحوا استخدموها في منافعهم الشخصية، وإذا أخلدوا للنوم قل استخدامهم لها فكأنها أخلدت إلى الراحة معهم أيضا، وإذا ناموا بالليل أطفأوا تلك المصابيح فكأنها باتت معهم، وبهذا فهي تصبح وتمسي- وتقيل معهم. وهذا معنى الحديث الآخر في الوارد في شأن النار: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) وهذا الحديث إشارة أيضا إلى الكهرباء التي ستصل كل الدنيا ومن ضمنها الحجاز، وهي تنير المدن والقرى ليلاً فتبدد الظلام الذي كان القدماء يبددونه بإشعال النيران الكثيفة..

وهنا يتبادر سؤال عن سبب تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم للكهرباء ناراً، فهي لا شك نار حسية تحرق، ولكن هناك سبب آخر وهي أن الكهرباء قد تكون السبب في دخول كثير من الناس النار، لأنه منذ اكتشاف الكهرباء تفرقت الأسرة وتشتت وتبعثرت، وكانت

الأسرة في القديم قبل اكتشاف الكهرباء، إذ أقبل الليل أوى الأب إلى البيت، وجلست الأسرة جميعاً في ضوء قنديل واحد، والتفت الأسرة جميعها حول موقد النار يتسامرون ويتحدثون ويتشربون عادات الأب ومشاربه وأخلاقه، وبذلك تزداد روابط الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، لأنه لا بديل عن الاجتماع.. أما منذ اكتشاف الكهرباء فقلما يجمع الليل أفراد الأسرة، لأن الكهرباء أوجدت البدائل عن الأب كالتلفزيون والإنترنت ووسائل اللهو الأخرى التي تجعل الأبناء يزهدون في الاجتماع بالآباء أو مجالستهم، وهذا أدى إلى وجود جفوة كبيرة بين الآباء والأبناء، وأصبحت الصلة بينهم واهية ضعيفة الأثر..

أما حديث **(..ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا)**[٥٣].. فهو إشارة إلى البترول الذي يخرج من قعر الأرض.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى. وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريباً)[٥٤].

---

[53] سنن الترمذي باب الخسف 477/4

[54] صحيح مسلم

الملاحظ أن اكتشاف الكهرباء واختراع السيارات والقطارات والطائرات تلاحق بعضها في إثر بعض منذ اكتشاف بنيامين فرانكلين الكهرباء في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهذا التطورات المتلاحقة قد بدأت منذ فتح القسطنطينية في القرن الخامس عشر، ثم توسعت الدولة العثمانية ناحية الغرب وسيطرت على بعض الممالك الأوربية، الأمر الذي حفز الشعوب الأوربية إلى النهضة والتقدم والعلم.. وإلى هذا يشير قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ولا يخرج الدجال حتى تفتح مدينة الكفر)[55] ويقول صلى الله عليه وسلم: (عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال)[56].

والمقصود بعمران بيت المقدس، هو العمران الذي تم في عهد الدولة الأموية حيث اهتموا بالشام أكثر من اهتمامهم بالمدينة، وبالتالي فقد تم عمران بيت المقدس عندما اتخذه الأمويون مركزاً لخلافتهم، ثم حوصرت مكة وضربت الكعبة بالمنجنيق، وهذا أدى إلى هجران

[55] (المستدرك للحاكم).
[56] (رواه أبو داود).

يثرب وعدم إعطاءها الاهتمام الكافي كعاصمة لدولة الإسلام، فأدى هذا إلى خروج الملحمة بين الإمام علي رضي الله عنه وبين الأمويين، وبعد ذلك توسعت رقعة الدولة الإسلامية حتى تم فتح القسطنطينية (مدينة الكفر)، وفتح مدينة الكفر أدى إلى تحفيز همة الشعوب الأوربية ليستيقظوا من غفوتهم، ويستردوا أرضهم، ويحيوا تراثهم، "في الوقت الذي أصبحت الخلافة الإسلامية، في عهد الدولة العثمانية، مجرد صورة شكلية أفرغت من محتواها، فتعرض العالم الإسلامي برمته للخطر الخارجي في أعتى صوره، بشكل لم يسبق له مثيل، فلقد عادت أوربا في العصور الحديثة مزودة بحضارة وقوة جديدة لتطوق العالم الإسلامي من خلف ومن قدام، من البحر ومن البر، وذلك مع بداية عصر الاستعمار الحديث وبوجه خاص بعد الانقلاب الصناعي..

وقد بدأ الغزو الاستعماري من الباب الخلفي للإسلام، لأنه كان الأشد عجزاً وضعفاً؛ فسقطت جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) في القرن السابع عشر، وضاعت الهند ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكذلك الملايو، ومع القرن التاسع عشر جاء دور الباب الأمامي للإسلام في العالم العربي، فسقطت الجزائر وتونس ومصر والسودان. وفي نفس الوقت كانت روسيا القيصرية تتوغل في إسلام

الاستبس جميعاً حتى القوقاز وتخوم إيران. ومن الجنوب كانت دول أوربا الغربية تكتسح الإسلام الأفريقي، ومع دورة القرن وحتى الحرب العالمية الأولى جاء دور المشرق العربي؛ فضاعت ليبيا ومراكش والشام والعراق، وما لم يقع للاستعمار من العالم الإسلامي خضع لضغوطه ونفوذه. بينما تقلص الإسلام في البلقان حتى كاد ينحسر عنه تماما.

ومن كشف الخسائر هذا يتضح أن العالم الإسلامي قد تهاوي جميعا تحت قبضة الاستعمار فيما عدا قلب الجزيرة العربية.."[٥٧].

وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق).

وهنا لابد من سؤال: هل يوجد تناقض بين هذا الكلام وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وشمالاً يا عباد الله اثبتوا...)[٥٨]

[57] د. جمال حمدان: العالم الإسلامي المعاصر ص 176

قد يبدو للوهلة الأولى وجود تناقض بين ما تقدم من القول وهـذا الحديث؛ حيث يشير هذا الحديث إلى أن خروج الدجال سـيكون مـن فلسطين التي تقع في قلب الوطن العربي؟

ويزيل المؤرخ الكبـير د. جمـال حمـدان هـذا التنـاقض بقولـه: "إن إسرائيل ركبت نهايات موجة هذا الاستعمار، وهي جزء لا يتجـزأ مـن الإمبريالية العالمية، وقد استمرت بعده، وهي أعلى مراحـل الاسـتعمار في العالم العربي، وهي الآن أعلى مراحل الإمبريالية العالمية، إنها قطعـة من الاستعمار الأوربي عبر البحار.

وإسرائيل تمثل موجة من الاستعمار الاستيطاني في العالم كله، وعلى ذلك فإنها تتميز عن جميع نماذج الاستعمار الاستيطاني بما يجعلهـا حالـة فريدة شاذة تجمع بين أسوأ ما فيه ثم تضيف إليه الأسوأ منه.. هي مثلا كأستراليا والولايات المتحدة انتظمت قدراً بشـعاً مـن إبـادة الجـنس. وهي كذلك كجنوب أفريقيا تعرف قدراً محققاً من العـزل العنصرـي. وهي كالجميع؛ استعمار أوربي أبيض، أو غزو غرباء أجانـب مـن وراء البحار لا علاقة لهم جنسـياً أو تاريخيـاً بـالبلاد، ولكنهـا تختلـف عـن

---

[58] (صحيح مسلم)

الجميع بعد ذلك بأنها طردت كل السكان الأصليين خارج وطنهم ليتحولوا إلى لاجئين مقتلعين معلقين على حدودها. إن إسرائيل بهذا كله أعلى-أعني أدنى- مراحل الاستعمار الاستيطاني؛ فهي استيطان واستئصال وإحلال واجتثاث وإبادة.. بل إن إسرائيل أسوأ من الحروب الصليبية، لأن الحروب الصليبية لم تكن إلا استعماراً استغلالياً تخفى وراء الصليب، أما إسرائيل فإنها تتخفى وراء نجمة داود بهدف تصفية الشعب الأصلي تصفية جسدية، وتهويد الأرض وتغيير طبيعتها ومعالمها إلى الأبد، وهي تجمع بين أسوأ ما في الحروب الصليبية وشر ما الغزوات المغولية من تخريب وتدمير وبربرية..)[٥٩]

إذن يتبن لنا من هذا الكلام أن إسرائيل هي امتداد لهذا الدجال، وقد تركز فيها كل ما في الاستعمار من سوء وفساد، بل وزادت عليه. ومن هذه البؤرة يخرج كل شرور الدنيا وفسادها؛ لأنها هي التي تتحكم بكل الدول التي كانت دولاً استعمارية في القديم وهي تسخرها لمآربها جهاراً نهاراً، وهذا ما يُجْمع عليه جميع السياسيين

[59] (المرجع السابق ص 214).

والعسكريين في العالم[٦٠]؛ فهي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الدجال: (فعاث يميناً وشمالاً يا عباد الله اثبتوا)..

[60] راجع في ذلك كتاب الأخوة الزائفة، تأليف جاك تني، عضو مجلس الشيوخ الأمريكي

الباب السابع

يأجوج ومأجوج

ورد ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم مرتين، مرة في سورة الكهف في قوله تعالى: (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً) (الكهف:٩٤)

ومرة في سورة الأنبياء في قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ) الأنبياء٩٦

كما ورد ذكر يأجوج ومأجوج في كثير من الأحاديث النبوية، أصحها ما ورد في الصحيحين: (وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ؛ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأجُوجَ مِثْلُ هذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)[٦١]

يقول سيد قطب، عند تفسيره للآيتين:

[61] الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح الحميدي

(وبعد، فمن يأجوج ومأجوج وأين هم الآن وماذا كان من أمرهم وماذا سيكون؟ كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق.. فمن الجائز أن يكون السد قد فُتح، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج.. وهناك حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم، استيقظ من نومه وهو يقول: (فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ وَمأجُوجَ هكذا).. وقد كانت هذه الرؤيا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن، وقد وقعت غارات التتار بعدها ودمرت ملك العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد هولاكو في خلافة المستعصم آخر ملوك العباسيين)[٦٢]

لكن الغريب أن المفسرين القدامى لم يفسروا يأجوج ومأجوج بأنهم التتار بالرغم من كل الفظائع التي ارتكبها التتار والمغول في العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، وهذا بعضاً مما قاله ابن كثير وابن الأثير في شأن التتار:

(قصدت التتار بخارى، وبها عشرون ألف مقاتل؛ فحاصرها جنكيزخان ثلاثة أيام فطلب منه أهلها الأمان فأمنهم.. فاصطفى

[62] في ظلال القران، تفسير سورة الكهف وسورة الأنبياء.

أموال تجارها وأحلها لجنده؛ فقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وأسروا الذرية والنساء وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن؛ فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل، ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب؛ وكثر البكاء والضجيج من النساء والأطفال والرجال.. ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها.. في هذه السنة عم البلاء وعظم العزاء بجنكيز خان المسمى بـ"تموجين" لعنه الله تعالى ومن معه من التتار. فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال وكثير من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب، إن احتاجوا إليه. وبالحريق، إن لم يحتاجوا إليه، حتى أنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير، الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه، ويخربون المنازل، وما عجزوا عن تخريبه يحرقوه..)[٦٣].

وقد بسط ابن الأثير خبرهم وقدم على ذلك كلاماً هائلاً في تعظيم هذا الخطب العجيب فقال:

[63] ابن كثير البداية والنهاية 102/13

(لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها، وهاأنذا أقدم رِجلاً وأؤخر أخرى؛ فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا!.. إلا أني قد حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعا.. أقول: لقد عقمت الليالي والأيام عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم والى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً! فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانيها.. ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس، وما بيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كل مدينة منها تبلغ أضعاف بيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا من المسلمين؟

فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل! ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا.. هذا ما لم يطرق الأسماع مثله؛ فإن الإسكندر، الذي ملك الدنيا، لم يملكها في سنة واحدة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحداً؛

بل رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض في نحو سنة.. أما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس إذا طلعت، ولا يحرمون شيئاً، ويأكلون جميع الدواب، حتى الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً، بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يُعرف..)[٦٤]

كان هذا اقتباسا من بعض ما قاله المؤرخون الذين عاصروا التتار والمغول. ومع هذا، فإن العقل ليحار وهو يفتش عن سبب إحجام المؤرخين والمفسرين عن اعتبار الاجتياح المغولي للعالم عامة وللعالم الإسلامي خاصة، هو المقصود بنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم عندما استيقظ من نومه فزعاً ذات ليلة فقال: "ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هكذا.. "

فما الذي كان ينتظره العالم الإسلامي أكثر من هذا الذي ذكره المؤرخون عن التتار، الذين لا يعرف لهم أصل ولا فصل، وكأنهم جائحة هبطت من السماء إلى الأرض في لمح البصر، فلم تبق ولم تذر؟

[64] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 203/5

هل كان المسلمون ينتظرون شراً أكثر من هذا الشر، وهل يأجوج ومأجوج (إن كانوا سيجيئون) هل سيجيئون بأكثر مما جاء به هؤلاء الملاعين.. وهل كان كل مسلم ينتظر أن يؤتى صحفاً منشرة، تفصل له الأمر تفصيلاً، أو هل كان كل مسلم ينتظر أن يخاطبه هؤلاء جهاراً، ثم يعلنوا ويسروا له إسرارا بأنهم قوم يأجوج ومأجوج؟

هل كان ينتظر العالم الإسلامي شراً ووبالاً أكثر من هذا، الذي يقول عنه ابن الأثير: (لقد عقمت الليالي أن تأتي بمثله، وأن الله لم يخلق فتنة منذ خلق آدم إلى قيام الساعة تعادل هذه الفتنة أو تدانيها، ولا حتى فتنة المسيح الدجال، وأنهم كانوا أشد فتكا وأسرع سيرا من ذي القرنين والإسكندر الأكبر، وأن ما حدث لبني إسرائيل من القتل والتشتيت والأسر على يد بختنصر لا يبلغ معشار ما حدث للمسلمين من القتل والتشتيت والأسر على يد التتار..)

لا شك أن الذي دفع المؤرخين للتصريح بهذا الأمر هو التمسك بحرفية النصوص، والخوف من الخروج على الإجماع، والخشية من الرمي بالزندقة والهرطقة وتنكب الصراط المستقيم..

ألا تستحق جائحة التتار، التي ابتلي بها المسلمون أن يُشار إليها في القرآن والسنة ولو مجرد إشارة، في حين أن أموراً أقل منها أشار إليها القرآن ونوهت إليها السنة؛ كانتصار الروم على الفرس، وتطاول الناس في البنيان، وظهور أشخاص يدعون النبوة، وظهور الكاسيات العاريات.. وغيرها من النبوءات!

أنا أعتقد أن السبب وراء عدم اعتبار يأجوج ومأجوج هم التتار والمغول؛ يرجع إلى عدة أسباب منها: التمسك بحرفية النصوص كما تقدم، ومنها ذوبان المغول فجأة كما أتوا فجأة، وكأنهم قوة غيبية أرسلت إلى المسلمين لتؤدي مهمة موكلة إليها ثم ينتهي دورها، ومنها فرحة المسلمين وتسامحهم معهم، ونسيانهم ما فعلوه، عندما اعتنق المغولُ الإسلام وانتهى أمرهم واستوعبهم الإسلام مثلما استوعب كثيراً من الحضارات.

لا شك أن التتار هم القوم الذين أشار إليهم القرآن الكريم بأنهم قوم يأجوج ومأجوج، وهذا ما يكشف عنه كلام ابن كثير وابن الأثير، وخصوصاً إذا علمنا أن (جنكيز خان) يسمى (تموجين) ولا شك أن

هذا الاسم هو أقرب الأسماء إلى لفظ "يأجوج ومأجوج"، الذي ربما يعني بلغتهم سرعة الحركة والاشتعال.

يقال في اللغة: أجَّت النار وتؤج أجيجاً إذا سمعت صوت لهيبها، وهذه الصفة الغالبة على التتار كما يقول ابن كثير: "فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال وكثيراً من النساء والأطفال.. وأتلفوا ما فيه بالنهب، إن احتاجوا إليه، وبالحريق، إن لم يحتاجوا إليه، حتى أنهم كانوا يجمعون الحرير الكثير، الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه)[٦٥]

ويقال: أجَّ في سيره أسرع وهرول، وهو مأخوذ من قولهم أجَّ الظليم في مشيه يئج أجاً، إذا هرول وسمعت حفيفه)[٦٦]

أما إذا جئنا إلى تفسير قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ)، فإن قول ابن الأثير يكشف عن بعض معانيها؛ يقول ابن الأثير في وصف التتار: (ولا يعرفون نكاحاً، بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف..)

---

[65] البداية والنهاية13|83

[66] لسان العرب ج41/4.

ومن خلال هذه العبارة التي وصفهم بها ابن الأثير يمكننا أن نفهم معنى هذه الآية؛ حيث جاء في لسان العرب:

١- حدب فلان على فلان تعطف وحنا عليه.

٢- الحدبة ما أشرف من الأرض وارتفع.

٣- والحدبة هي التي في الظهر[٦٧]

وعلى ما تقدم يكون معنى قوله تعالى: (وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ) أنهم يتناسلون بلا أدنى مشقة كالبهائم والطيور والأسماك.. فهم في نكاحهم يشبهون هؤلاء الكائنات حيث لا قيود على نكاحها، وإنما هو طلب من الذكر وقبول من الأنثى؛ والمعاني السابقة جميعها تشير إلى هذه المعاني؛ فإذا كان الحدبُ بمعنى العطف والرقة، فيكون معنى الآية (من كل حدب ينسلون) أي أن سبب نسلهم وتناسلهم يأتي من إظهار اللين والرقة والتعطف من جانب الرجل للمرأة التي تروق له، فلا تصده عن مباشرتها.

[67] لسان العرب ج2 | 795

وإذا كان معنى الحدب هو الأرض المرتفعة؛ فيكون معنى الآية (من كل حدب ينسلون) أي سبب نسلهم وتناسلهم هو من علو الرجل على المرأة وإخضاعها له بكيفية متعارف عليها لديهم.

وإذا كان معنى الحدب: الحدبة التي في الظهر؛ فهو إشارة إلى مكان خروج الذرية والنسل من الظهر كما قال تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (الطارق:٧) أي أنهم يخرجون من ظهر كل رجل بسهولة ويسر، لعدم وجود الضوابط والقيود على نكاحهم وتناسلهم.

كما أن الثابت من التاريخ أن كورش، المسمى في القرآن بذي القرنين، قد حارب يأجوج ومأجوج؛ ليحمي بعض ولايات مملكته من حملاتهم، فإذا رجعنا إلى التوراة لمعرفة قبائل يأجوج ومأجوج، فنجد أنه قد ورد في سفر حزقيال: (يا ابن ادم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك و توبال وتنبأ عليه)[٦٨]

فهي تخبر أن مسكنهم روش (روسيا) وموسكو وتوباسك من المناطق الشمالية، كما يقول يوسيفوس وهو من المؤرخين القدامى، إن يأجوج ومأجوج اسم لقبائل سيدين. ولقد استولوا على فارس،

[68] سفر حزقيال 2/38

وكانوا يؤذون الشعوب الجنوبية بغاراتهم المتكررة، حيث كانوا يشنون الغارات على بلاد الجنوب من مناطق الشمال من بين جبل القوقاز وبحر قزوين عن طريق دربند)[٦٩].

ويذكر المؤرخ هيرودتس أنه وجد سوراً طويلاً لا تزال بقاياه حتى اليوم، يُعرف بين الناس بجدار دربند التي تذكر دائرة المعارف البريطانية أنه كان يبلغ ارتفاعه ٢٩ ذراعا وعرضه ١٠ أذرع، وكانت فيه أبواب حديدية وأبراج للرصد والحراسة، وكان يمتد من بحر قزوين إلى جبال القوقاز على طول خمسين ميلاً، بناه الإسكندر ورممه قباد الملك الساساني)[٧٠]

وهذا لا يدع مجالاً للشك في صدق ما أخبر به القرآن الكريم عن بناء السد الذي يحول بين يأجوج ومأجوج وبين خروجهم على الناس، الذي بدأ باجتياح التتار للعالم الإسلامي وتدميره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[69] Historian's history of the world vol.2 p589

[70] http://en.wikipedia.org/wiki/Derbent